بغداد في الكتابات الأردية كتاب "ألف ليلة وليلة" أنموذجا

Baghdad in Urdu Writings The book "One Thousand and One Nights" is an Example

أ.دعبد المجيد البغدادي
أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية
جامعة العلامة إقبال المفتوحة
إسلام آباد، باكستان

Abstract
In Arabic literature, alif-Laila holds a significance akin to Homer's "Odyssey" in global literature. Known by its complete name, AliF-Laila wa Laila, which translates to "One Thousand and One Nights" in Arabic, it stands as a monumental work of Arabic literature. With a collection of ten thousand stories, it is also referred to as "Hazar Dastan" (thousand tales). Arab storytellers are believed to have commenced narrating its initial sections in the eighth century AD. Subsequent contributions from storytellers in Turkey, Egypt, and Iran further enriched its content. An intriguing aspect is the Western Orientalists' role in unearthing this Eastern treasure.
In the 18th century, Antoine Galland, a French orientalist, stumbled upon tales of in a French library. Intrigued by Oriental studies and possessing a talent for storytelling, he translated and published these tales in French. The translation of this masterpiece into Urdu was completed at some point in the 20th century. The inaugural edition, titled "Alf Laila Al-Ma'roof Beh Hazar Dastan," is available on the renowned Urdu website "Rekhta." Owing to its collaborative translation, the names of the translators remain undisclosed. Notably, Professor Abul Hasan Mansoor of Aligarh University rendered Alif Laila into Urdu, garnering acclaim for his work. The current edition, published in Pakistan in 2009 across seven volumes, builds upon its original publication between 1940 and 1946 under the Anjuman Taraqi Urdu (India) Delhi series of publications. Widely regarded as the most accurate and fluid translation, it preserves the essence of the original text.
Keywords: alif-Laila, Baghdad, One Thousand and One Nights, Antoine Galland, Hazar Dastan, Abul Hasan Mansoor, Sindbad, Turkey, Egypt, Iran

مقدمة

ألف ليلة وليلة أشهر مجموعة قصصية عربية، فلم يشتهر كتاب في العالم مثلما اشتهر هذا الكتاب، ولم يؤثر كتاب في الأدب العالمي مثلما أثر هذا الكتاب و يُعد كتاب" ألف ليلة وليلة"، بحر من القصص، لا شاطئ له، حيث تتدفق فيه العديد من الأنهار والبحار، والتي يعيش بداخله العديد من المخلوقات مختلفة الأجناس والطباع، فتمتد جزره من بغداد إلى الهند وإيران، ومصر وأوربا، وغيرها من البلدان العربية وغير العربية، والإسلامية وغير الإسلامية منها، فإذا كان علينا أن نختار كتابًا واحدًا عالميًا يجمع بين الثقافات المختلفة، فلن نجد سوى " ألف ليلة وليلة"، لما له من قدرة على تجاوز الحدود العرقية والقومية والجغرافية والزمنية، لذا فلم يقتصر قراءتها وتأثيرها على الناطقين باللغة العربية فحسب، بل لها تأثير على الآداب الشرقية والغربية معًا، حيث تم ترجمتها إلى العديد من اللغات العالمية، من بينها: الفارسية والأردية والفرنسية، والإنجليزية، فقد تم ترجمتها في أوربا في أوائل القرن الثامن عشر، وأصبح تأثيرها غير مقتصر على عصر محدد، وغير مرتبط بحركة فكرية أو أدبية محددة، وهذا يعزز نظرية أن الفن رغم ارتباطه بهذا العالم الفاني، إلا أنه من الممكن أن يحقق الخلود، فالأعمال الإبداعية الخالدة تلبي أعمق رغبات كياننا، وهذا ما نجده في ثنايا " ألف ليلة وليلة، إذ تعد من الأعمال الإبداعية الخالدة التي تلقى قبولًا على قراءتها على مر العصور، فالقارئ لـ ألف ليلة وليلة يشعر بأنه يعيش عوالم خفية منذ القدم، فهي تلبي أعمق رغباته، كما تكسبه قدرًا من التسامح، كما تُمحى معها الهويات اللغوية والثقافية، فهي مزيج لتقاليد وأعراف وثقافات مختلفة.

أصل الكتاب:

الكتاب من أصل فارسي، وهو يدعى عند الفرس"هزار أفسانة" أي ألف خرافة. ويذهب بعض المحققين إلى أن للكتاب أصلا هنديا، وأصلا آخر يونانيا، ويكون بعض الحكايات من هذا الأصل ، وبعضها من الأصل الآخر. ([1]) أما عن مؤلف " ألف ليلة وليلة" فمن الصعب تحديد راوٍ بعينه لقصص ألف ليلة وليلة، رغم أن شخصية " شهرزاد" – وهي شخصية الراوي العليم لجميع قصصها– حظيت في دراساته بنفس أهمية مؤلفها، إلا أنه ليس المؤلف لها، بل إنها شخصية مخترعة، وهو من بين شخصيات هذه القصص العبقرية، فلا يوجد لها مؤلف ولا راوي، وهذه معجزة فريدة من نوعها في تاريخ الآداب العالمية، بأن يكون يتولد عمل رائع مثل " ألف ليلة وليلة" بدون مؤلف، إذ لا تنتمي لكاتب محدد، فيذكر أنه قام بكتابتها مجموعة من الرواة كان يتواجدون في شوارع وأحياء وميادين ومقاهي بغداد وغيرها من المدن، لكنها لا تنتمي إلى الأدب الشعبي غير أن شعرها وقصصها السردية ظهرت

عن طريق مزج عدة تقاليد وثقافات مختلفة، فهي تراث مميز من نوعه، وحدث فريد في تاريخ الأدب العالمي، وملحمة إبداعية خلاقة مما دعا العديد من مترجمين الشرق والغرب إلى ترجمتها إلى لغات عديدة، ولاقت قبولًا ورواجًا بين العامة والخاصة، صغارًا وكبارًا، يستمتع بها الناس في خلوتهم وجلوتهم.([2]) وكأن هذه القصة لديها القدرة على التعبير عن الوجود الاجتماعي والفردي للإنسان في آنٍ واحدٍ. فكما أشرتُ بأن رواة هذه القصص لم يهتموا بذكر أسمائهم، غير أنها تدين بمترجمها الأوروبي الأول، أنتوني جولان، حيث أشار بورخيس في مقالته التي كتبها عن مترجمي " ألف ليلة وليلة" بأن هذا الكتاب قُدم إلى أنتوني جولان من قبل حنا – مسلم عربي– ليقوم بترجمتها، وبالفعل قام بترجمة بعض القصص منها قصة: " اله الدين، والاربعين حرامي، أبو الحسن، والخليفة هارون الرشيدي". ([3])

ويذكر محمد كاظم، أن " ألف ليلة وليلة" قد ورد ذكرها لأول مرة في "مروج الذهب" للمسعودي ثم في "الفهرست" لابن النديم. ومما ذكره المسعودي حول هذا الكتاب: " بأن قصص ألف ليلة وليلة مبني على الأساطير والخرافات". ([4])

ويشير محمد كاظم، إنه تم ترجمة هذا الكتاب من البهلوية إلى العربية في القرن الثالث الهجري، واكتملت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). حيث كان في البهلوية بعنوان " بهلوي كهزار": وتعني الألف بهلوية، ثم نُقل إلى العربية بعنوان" ألف ليلة وليلة"، ثم إلى الأردية بعنوان " هزار افسانه": وتعني ألف قصة.

وأرى أن الترجمة العربية والأردية لم تبتعد عن أصلها الفارسي، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث استطاعت أن تخلق هويتها الخاصة عليها، حيث ذَكَرت بعض كتب التاريخ بأنها قصة عربية الأصل وكتبت باللغة العربية، وتجاهلوا تمامًا أصلها البهلوي. ومن المفارقة العجيبة أن الشخصية الرئيسية في هذه القصص وهي شخصية " شهرزاد" كما وردت في النسخة العربية ليست شخصية إيرانية فحسب، بل إن المنطقة التي يتم تقديمها في هذه القصة هي أيضًا غير عربية، تنتمي إلى بلاد الهند وإيران.

والسؤال الذي يدعو للدهشة هنا هو:

كيف انتشر ألف ليلة وليلة في بغداد في القرن الثامن؟

وقد استطاع مارتن بنشر تفسير هذا، بأن المصدر الرئيسي للحضارة الإسلامية في عصورها القديمة، وفي العصور الوسطى أيضًا، معتمدًا على الروايات الشفهية، وهو ما اعتمدت عليه " ألف ليلة وليلة"، إذ كان من بين رواة هذا الكتاب، من كانوا يروون قصصهم بين الناس في الشوارع والأسواق والميادين والمقاهي. وهذا ما دعا المسعودي لقوله بأنها قصص خرافية لا ترقى لمستوى الآداب العالمية، ويعود بحث مارتن بينشر إلى أن سر رواج " ألف ليلة وليلة " يعود إلى أنها أول

كتاب قُدم بشكل ورقي مكتوب. فالورق اخترع من قبل الصينيين، ولعدة قرون احتفظوا بهذا السر لأنفسهم. ووفقًا لما ذكره مارتن بنشار:

" أنه في عام 751 م، اندلعت حرب بين المسلمين والصينيين في تالاس، كازاخستان الحالية. وقد هُزم الصينيون، وفي هذه الحرب وقع في أيدي المسلمين بعض الأسرى من الجنود الصينيين الذين يعرفون فن صناعة الورق".([5])

وخلاصة القول أنه بالرغم من أن المسعودي، وابن النديم، أشار إلى أن " ألف ليلة وليلة" هو فارسي الأصل بعنوان " هزار افسانه"، إلا أن بعد كل ما سبق، وبعد كل هذه الدلائل، نجزم القول بأنه عربي الأصل بتقاليده القصصية وحبكاته وشخصياتها، وتناوله للحياة العربية عبر العصور التي كُتبت فيه، فهو لا يعد كتابًا للتسلية فحسب، بل كان ولا يزال موسوعة حضارية وأدبية تزخر بالعديد من الجوانب الحضارية والثقافية والاجتماعية والسياسية، كما يهتم بتناوله لقضايا الإنسان عن طريق الحكايات والخرافات التي تتخللها العديد من النصوص الشعرية، وهذا ما نراه في الحكايات البغدادية.([6])

وظلت قصص " ألف ليلة وليلة" تُحكى، وأصبحت تتنقل من مكان إلى آخر عبر المخطوطات المكتوبة. وانتقلت مع الجنود المسلمين من إسبانيا إلى أوروبا كلها، وقد قام بترجمها الفرنسي " أنطوني جالان" خلال الأعوام 1704-1717، وقد لاقت ترجمته رواجًا واستحساناً كبيرًا. ولكن وفقا لما ذكره مارتن بينشر، أن النسخة العربية كان لها الفضل في سبب رواجها وانتشارها، فكان تأثيرها واضحا على أدباء ومفكري الغرب من أمثال: تشوسر وبوكاتشيو. بل إن خورخي لويس بورخيس يقول: إن المبادئ التي وضعها بوليو – الشاعر والناقد الفرنسي ومؤلف " فن الشعر"– في نهاية القرن السابع عشر كأساس للأدب الأوروبي، انتشرت في أوروبا من خلال ترجمة " ألف ليلة وليلة"، ومن هذه المبادئ الأدبية، كانت الواقعية، ذات أهمية خاصة، فكانت أوروبا تنشر هذه المبادئ باعتبارها المعيار الوحيد للأدب في مستعمراتها الجديدة، وكان الحداثيون في هذه المستعمرات يرون خلاصهم في التخلي عن المنهج الكلاسيكي. ([7])

ومن هنا بدأنا ندرك أن " ألف ليلة وليلة" يُعد نص عالمي في حركة مستمرة يتماشى مع جميع الآداب العالمية، مما جعل بعض النقاد يذكرون بأنه من الصعب الاعتقاد بأن هذه القصة تنتمي إلى ثقافة واحدة، وخاصة الثقافة العربية الإسلامية وقد تركت لنا الأثر الكبير الذى جعلت من القصة والرواية والأساطير محوراً لتحريك المخيلة الإبداعية لدى الكتاب والمؤرخين فى كل أرجاء العالم، وقد جُمعت على مراحل من تراث ما أبدعه العقل البشرى من صياغة أحداث كان لها الأثر فى عصور لاحقة، كما تعتبر واحدة من أهم التأثيرات الثقافية والأدبية فى التاريخ العالمى، فمن حيث تأثيرها فى الأسلوب والهيكل

السردى، قدمت حكايات ألف ليلة وليلة، أساليب سرد مبتكرة، مثل القصة فى القصة واستخدام الإيقاع والتوتر فى السرد، هذه الأساليب أثرت على أساليب السرد فى الأدب العالمى وشجعت على التجريب والابتكار فى الكتابة القصصية أو الروائية أو حتى الشعرية أيضاً.

فمن الجدير بالذكر أن العديد من القصص الموجودة فى ألف ليلة وليلة تتميز بتنوعها وغمرها للقارئ فى عوالم مختلفة، هذا التنوع والغمر فى الحكايات قد أثرا بشكل كبير على الفن السردى وتطور الرواية فى مختلف مرحلها، كذلك القصص القصيرة والروايات ذات العناصر السحرية والمغامرات الرائعة، فهى مكونات مأخوذة من هذا التراث الأدبى العظيم.

بغداد في الكتابات الأردية من خلال كتاب "ألف ليلة وليلة"

بغداد هي العاصمة التي اقترن اسمها بحكايات ألف ليلة وليلة، وسحر الشرق وعطره وألوانه التي تبعث البهجة في النفوس. إنها مدينة التفاصيل بجدارة. ومن دونها، تصبح ناقصة ومشوشة. لا تزال شهرزاد تروي قصصها لشهريار في المدينة الشاهدة على ولادة أشهر عمل أدبي عربي "ألف ليلة وليلة". عند نهر دجلة، وتحديداً في شارع أبو نوّاس، تقف شهرزاد بشموخ أمام الملك الذي أفنى قبلها مئات النساء، وترفع يديها نحو الأعلى، وكأنها تلقي خطاباً مهماً لا ينصت إليه شهريار وحده! ستجد كلّ عابرٍ أمام النصب مأخوذاً بها ومفتوناً بما تقول.

فالف ليلة وليلة قصص بغدادية كتبتها امرأة بغدادية ، ولاسيما وانها مجموعة قصص تقولها شهرزاد وهي انثى لزوجها السلطان شهريار وقد ترجمت هذه القصص الى اغلب لغات العالم كالفرنسية والانجليزية والالمانية والروسية والايطالية .([8])

وكتاب الف ليلة والليلة يقترن ببغداد اقتراناً غريباً وما ان تسمع بغداد في هذه الحكايات حتى تشم عطر الف ليلة وليلة فلقد صورت هذه الليالي في بغداد واحسن التصوير اذ تتراءى بغداد في هذه الحكايات بقبابها ومساجدها وقصورها وخلفائها وازقتها وحوانيتها وباعتها وتجارها وزهادها وعبادها وما ان تسمع هذه الحكايات حتى تسمع اغاني الموصلي المغني العباسي المشهور ، وما ان تسمع بغداد حتى تشم عطر تاريخ هذه المدينة وما ذكرته هذه الحكايات من معالم بغداد كانت كثيرة فذكرت كرخ بغداد على لسان تاجر عماني انحدر الى بغداد وشواطئ النهر المطلة على قصور الخلفاء على لسان صياد يصطاد بقرب احد القصور وجامع المنصور على لسان متحدث عن يوم الجمعة في بغداد ومساجد بغداد في حكايات كثيرة وتاجر سرقت امواله ولج الى احدى المساجد ببغداد. ([9])

ومما لا شك فيه أن حكايات وقصص ألف ليلة وليلة انتقلت وشاعت في جميع الآداب العالمية من خلال حركة الترجمة، وكان لها مكانة عالية على مستوى الآداب العالمية إلى هذا الحد الذي جعل

أكبر وأشهر الأدباء العالميين يستقون منها قصصهم وأفكارهم، ولكن كثرة الترجمات التي تمت لهذا الكتاب جعل لها عدة روايات والتي قد تتباين أو تختلف من أدب لآخر، وجعل من شخصية شهرزاد محورًا هاما للعديد من الباحثين والدراسات، وهذه الدراسة التي بين أيدينا واحدة من بين هذا الدراسات على مستوى الأدب الأردي، إذ تقدم صورتها من خلال كتابات أهل الأردية.

ولقد ترجم الكتاب عدة تراجم مجزأة إلى الأردية بعضها عن الأصل العربي عن نسخة كلكتا الأولى، والبعض الآخر عن الأصل الإنجليزي في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وقد لاقت النسخة الأردية قبولًا واستحسانًا لدى أهل الأردية، وانتشرت في جميع أرجاء شبه القارة الهندية وباكستانية، وذاع صيتها، والسبب في تقبلها لدى أهل الأردية، يعود إلى أن مثل هذا النوع من القصص والأساطير كانت موجودًا من قبل في الأدب الأردي، مثل: داستان أمير حمزه وطلسم هوشربا، باغ وبهار، بوستان خيال، فسانه عجائب. ([10])

من عام 1836 إلى عام 1946، قام العديد من الشعراء بترجمة الف ليلة إلى اللغة الأردية، كما قام العديد من الشعراء أيضًا بنظمه باللغة الأردية ومنهم ميرزا رجب علي بيج سرور، وبندت رتن ناته سرشار، وميرزا حيرت ،وقار عظيم و أبو الحسن منصور الذي نشرت ترجمته في عام 1940. [(11)]

الكتاب الذي نشرته مطبعة جامعة أكسفورد، يقال عنه أن رتن ناته سرشار عمل فقط على المجلد الأول بينما المجلد الثاني قام بإعداده مولوي محمد إسماعيل. لكن اسم رتن ناته سرشار هو الاسم الوحيد الموجود في جميع مجلدات أكسفورد الأربعة، وتمت ترجمته لاحقًا من مولوي عبد الكريم في أسلوب المقفى ومسجع. وهذه الترجمة نشرت في العصر الحديث عام ٢٠١١ من طابع "سنك ميل" مع مقدمة بقلم إنتظارحسين، بينما تم إصداره الثاني عام ٢٠٢١ في أربعة مجلدات تحت رعاية شمس الرحمن فاروقي وأجمل كمال تحت رعاية مطبعة جامعة أكسفورد.([12])

ويقول إنتظار حسين في مقدمته إن من الأدباء المميزين الذين ترجموا ألف ليلة باللغة الأردية منهم "مولوي عبد الكريم، وراتن ناته سرشار، وميرزا حيرت دهلوي، و(أبو الحسن) منصور أحمد" ثم يكتب عن هذه الترجمة و يقول:

"سرشار لم يترجم ألف ليلة بل أنه كتب بأسلوبه الخاص كأنها هي رواية جديدة، ولكن بطريقة خلاصة، وكتب القصص الطويلة في بضع صفحات فقط".([13])

و ترجمة أخرى بالطلاقة لألف ليلة إلى الأردية قام بها الدكتور أبو الحسن منصور، أستاذ جامعة عليكرة. و تم نشره بين 1940-1946 في سبعة مجلدات ضمن منشورات سلسلة أنجومان ترقي

الأردية (الهند) دلهي. ثم نُشرت نسخته الحديثة في باكستان عام 2009 بواسطة "تخليقات" في سبعة مجلدات.([14]) وهذه الترجمة الأسهل والأبسط والأكثر سلاسة والأكثر طلاقة وهي قريبة جدًا من النص الأصلي.

الأفلام المعدة على الألف ليلة وليلة:

معظم الأفلام المستوحاة من قصص ألف ليلى تم إنتاجها باللغة الإنجليزية. وتم إنتاج أول فيلم من هذه السلسلة هو "سارق بغداد" في عام 1942. وتم إنتاج أفلام تحمل نفس الاسم في 1940و1952 ومرة أخرى في عام 1961. في حين أن الفيلم الأكثر شهرة من هذه السلسلة هي "ليالي العرب" تم إنتاجه عام 1942. وتم إنتاج أفلام تحمل نفس الاسم عامي 1959و1974. وتم انتاج إله دين في عام 1992. و تم إنتاج فيلم عام 1991 تحت اسم حاتم الطائي وفي باكستان استخدمت هذه القصة أيضًا في صناعة الأفلام، ففي عام 1965، صدر فيلم بعنوان "هزار داستان". تم تقديم مزيج تحت اسم "اله دين" عام 1981. بينما تم إصدار "حاتم طائي" عام 1986.

وفي مجال التلفزيون

في ، تم إنتاج وبث مئات المسلسلات الدرامية في كل من باكستان والهند بحسب موضوع كل قصة مذكورة في الكتاب بث نشره ايضا. و عمل عليها العديد من المسرحيين .

أما في الصحافة:

فقد كتبت حوله مئات المقالات على موضوع من الموضوعات وكان الكتاب احيانا يقتبسون منها واحيانا يذكرونها استعارة وكناية فقط . نذكر من أشهر الصحفيين في ذلك : زاهدة حنا التي ذكرت في مقالتها عدة مرات وكشور ناهيد ، حسن نثار ، عبدالقادر حسن، و مستنصر حسين، دكتور ناصر عباس نيئر،صفدر همداني، مبشر علي زيدي.

خلاصة البحث:

تلك جولة خاطفة في كتاب "ألف ليلة وليلة"، وهو كتاب غني بمادته، جذاب أسلوبه، يُطلعنا على نواحي شتى من حياة الشرق في العهد القديم والوسيط، ويكشف لنا عن بعض نزعات النفس الشرقية. ولكن المعرفة التي نحصل عليها من خلاله ليست شاملة ولا كاملة وليست خاليةً من الأوهام التي بثها الخيال في تضاعيف الحكايات. ومهما يكن من أمر فالكتاب كنز ثمين من كنوز الإنسانية، ولهذا تُرجم الى كل لسان وانتشرت أقاصيصه بين الخاص والعام، وكانت مادة خصبة لكتاب الأردنية نقلوا من خلال التجربة على لسانهم وعرفوا بها شريحة هامة من الناطقين بالأردية في كل مكان وكل زمان.

الهوامش

1 _ حناء الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ص603.
2- نفس المصدر، ص:604.
3 - -خورخے لوئی بورخیس،The Translators of The Thousand and One Nights، پنگوئین ، انگلینڈ، 1999،ص92
4 - محمد کاظم، عربی ادب میں مطالعے، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، 2001، ص 24-25.
5 - مارٹن پنشر،The Written World، گرانٹا پبلی کیشنز، 2017، ص 137
6 - الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)، ص603.
7 فلپ ایف کنیڈی و مرینا وارنر،، Scheherazade's Children: Global Encounters with the Arabian Nights،نیویارک یونیورسٹی پریس، 2013،ص 90
8 - سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، دار المعارف، مصر، ص:12.
9 - الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)،ص:610.
10 - ألف ليلة وليلة، ص: 3.
11 - وقار عظیم، ہماری داستانیں، شیخ غلام علی اینڈ سنز، 1980ء، ص 487
12 - انتظار حسین،" ہزار داستان"، سنگِ میل لاہور،2011،ص:361.
13 - - نفس المصدر،ص: 362.
14- ہزار داستان، ص:471.

المصادر والمراجع

1- انتظار حسین،" ہزار داستان"، سنگِ میل لاہور،2011.
2- حناء الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت ، لبنان.
3- خورخے لوئی بورخیس،The Translators of The Thousand and One Nights، پنگوئین ، انگلینڈ، 1999
4- سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، دار المعارف، مصر.
5- فلپ ایف کنیڈی و مرینا وارنر،، Scheherazade's Children: Global Encounters with the Arabian Nights،نیویارک یونیورسٹی پریس، 2013.
6- مارٹن پنشر،The Written World، گرانٹا پبلی کیشنز، 2017.
7- محمد کاظم، عربی ادب میں مطالعے، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، 2001.
8- وقار عظیم، ہماری داستانیں، شیخ غلام علی اینڈ سنز، 1980ء.